@AnteliasDiocese
anteliasdiocese.com

عنوان الأحد الأحد الثاني من زمن الصوم: أحد شفاء الأبرص

الأخت دولّي شعيا (ر.ل.م.)

(روم ٦: ١٢-٢٣)

١٢ إِذًا فَلا تَمْلِكَنَّ الخَطِيئَةُ بَعْدُ في جَسَدِكُمُ المائِت، فَتُطيعُوا شَهَوَاتِهِ.
١٣ وَلا تَجْعَلُوا أَعْضَاءَكُم سِلاحَ ظُلْمٍ لِلخَطِيئَة، بَلْ قَرِّبُوا أَنْفُسَكُم للهِ كَأَحْيَاءٍ قَامُوا مِنْ بَيْنِ الأَمْوَات، واجْعَلُوا أَعْضَاءَكُم سِلاحَ بِرٍّ للهِ.
١٤ فلا تَتَسَلَّطْ عَلَيْكُمُ الخَطِيئَة، لأَنَّكُم لَسْتُم في حُكْمِ الشَّرِيعَةِ بَلْ في حُكْمِ النِّعْمَة.
١٥ فَمَاذَا إِذًا؟ هَلْ نَخْطَأُ لأَنَّنَا لَسْنَا في حُكْمِ الشَّرِيعَة، بَلْ في حُكْمِ النِّعْمَة؟ حَاشَا!
١٦ أَلا تَعْلَمُونَ أَنَّكُم عِنْدَمَا تَجْعَلُونَ أَنْفُسَكُم عَبِيدًا لأَحَدٍ فَتُطيعُونَهُ، تَكُونُونَ عَبِيدًا لِلَّذي تُطيعُونَه: إِمَّا عَبِيدًا لِلخَطِيئَةِ الَّتي تَؤُولُ إِلى المَوت، وإِمَّا لِلطَّاعَةِ الَّتي تَؤُولُ إِلى البِرّ.
١٧ فَشُكْرًا للهِ لأَنَّكُم بَعْدَمَا كُنْتُم عَبِيدَ الخَطِيئَة، أَطَعْتُم مِنْ كُلِّ قَلْبِكُم مِثَالَ التَّعْلِيمِ الَّذي سُلِّمْتُمْ إِلَيْه.
١٨ وَبَعْدَ أَنْ حُرِّرْتُم مِنَ الخَطِيئَة، صِرْتُم عَبِيدًا لِلبِرّ.
١٩ وأَقُولُ قَوْلاً بَشَرِيًّا مُرَاعَاةً لِضُعْفِكُم: فَكَمَا جَعَلْتُم أَعْضَاءَكُم عَبِيدًا لِلنَّجَاسَةِ وَالإِثْمِ في سَبِيلِ الإِثْم، كَذلِكَ اجْعَلُوا الآنَ أَعْضَاءَكُم عَبِيدًا لِلبِرِّ في سَبِيلِ القَدَاسَة.
٢٠ فَلَمَّا كُنْتُم عَبِيدَ الخَطِيئَة، كُنْتُم أَحْرَارًا مِنَ البِرّ.
٢١ فأَيَّ ثَمَرٍ جَنَيْتُم حِينَئِذٍ مِنْ تِلْكَ الأُمُورِ الَّتي تَسْتَحُونَ مِنْهَا الآن؟ فإِنَّ عَاقِبَتَهَا المَوْت.
٢٢ أَمَّا الآن، وقَدْ صِرْتُم أَحرارًا مِنَ الخَطِيئَةِ وعَبِيدًا للهِ، فإِنَّكُم تَجْنُونَ ثَمَرًا لِلقَدَاسَة، وعَاقِبَتُهَا الحَيَاةُ الأَبَدِيَّة.
٢٣ لأَنَّ أُجْرَةَ الخَطِيئَةِ هِيَ المَوت. أَمَّا مَوْهِبَةُ اللهِ فَهِيَ الحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ في المَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا.

مقدّمة

في مطلعِ الأسبوعِ الثَّاني من الصَّومِ تضعُ كنيستُنا المارونيّةُ أمامَ أعْيُنِنَا آيةَ شفاءِ الأبرصِ، في صُلبِ مدرسةِ الإيمانِ، الَّتي تتناوَلُ الحياةَ برمَّتِها. الجميعُ أعرضَ عنه، ولكنَّ اللّٰهَ برحمتِه "مدَّ إليه يمناه ومِنْ بلوى الدَّاءِ خلَّصَ ذاك المنبوذَ الأبرصَ" ولمَسَهُ ولم يعتبرْه نجِسًا كما كانَتْ شريعةُ موسى "تبغي أن يبقى في هذا القفرِ يشقى" (نشيد الدخول في خدمة قدّاس أحد شفاء الأبرص). كلُّ ذلك أتى جوابًا على إيمانِ الأبرصِ وثقتِه برحمةِ اللّٰهِ وقدرته.
لكن، في الوقتِ عينِه تؤكّدُ روايةُ الأبرصِ على قُدرةِ يسوعَ على الشِّفاءِ، وعلى تعليمِه الَّذي "جاءَ

ليكمّلَ الشَّريعةَ لا لينقضَها" (متّى ٥: ١٧). فللأبرصِ الهاربِ من البقاءِ تحتَ نيرِ الشَّريعةِ الموسويَّة يشقى في القَفْرِ يقولُ الرَّبُّ ويأمرُه بأن "يتمِّمَ في بيتِ اللّهِ أمرَ موسى في التَّوراة" (نشيد الدخول في خدمة قدَّاس أحد شفاء الأبرص).

في الرّسالةِ إلى أهلِ روما (روم ٦: ١٢-٢٣)، يدعو القدّيسُ بولسُ إلى عيشِ الطَّاعةِ، الَّتي عاشَها هو نفسُه للدَّعوةِ الَّتي دعاهُ إيَّاها الرَّبُّ يسوعُ، مركّزًا على تَرْكِ شتَّى أنواعِ الشَّهواتِ كي يكونَ الانسانُ محرَّرًا من الخطيئةِ، فلا يعودُ للموتِ من سلطانٍ عليهِ بعد أن اختارَ أنْ يحيا حياةَ قداسةٍ. استعملَ بولسُ تعابيرَ العبوديَّةِ الشَّائعةَ في ذلكَ الزَّمانِ، كي يفهمَ مسيحيُّو روما أنَّهم بطاعتِهم للخطيئةِ سيُصبحون عبيدًا لها فيموتون. أمَّا إذا أطاعوا تعليمَ اللّهِ فسيُصبحون "عبيدًا للّه" ويثمرون ثمرَ القداسةِ.

شرح الآيات

١٢ إِذًا فَلا تَمْلِكَنَّ الخَطيئَةُ بَعْدُ في جَسَدِكُمُ المائِتِ، فَتُطيعُوا شَهَوَاتِهِ.

تبدأُ هذه الآية بكلمة "إذًا" كخلاصة عمليَّة لما قاله الرَّسول بولس سابقًا. فبما أنَّ المؤمن قد مات عن الخطيئةِ، وبما أنَّه أُقيمَ بالمعموديَّةِ لحياةٍ جديدةٍ في المسيحِ، عليه أنْ يتصرَّف بطريقةٍ معيَّنةٍ: "فلا تملِكَنَّ الخطيئةُ بعدُ في جسدِكم المائتِ، فتطيعوا شهواتِه". في القسمِ الأوَّلِ (روم ٦: ١-١١)، استخدمَ بولسُ الصِّيغةَ الدَّلاليَّةَ، أمَّا هنا فيبدأُ إرشاداتِه بصيغةِ النَّهي. كما سبَقَ وتكلَّمَ مستخدمًا ضميرَ المتكلِّمِ في صيغةِ الجمعِ، أمَّا الآن فيستخدمُ ضميرَ المخاطَبِ الجمعِ. كان بولسُ قدْ لفَتَ الانتباهَ إلى أنَّ المؤمنين "قد تحرَّروا مِنَ الخطيئةِ"، وبأنَّهم ليسوا "بعدُ عبيدًا للخطيئةِ" (روم ٦: ٦، ٧). قد يتركُ هذا انطباعًا بأنَّ الخطيئةَ لم تعُد تشكِّلُ خطرًا. لكنَّ الأمرَ ليس كذلك! فكما أنَّ العبدَ الَّذي أُطلِقَ سراحُه قد يستمرُّ في العملِ مثلَ عبدٍ، هكذا أيضًا قد يستمرُّ مَنْ تمَّ تحريرُه من عبوديَّةِ الخطيئةِ في خدمةِ الخطيئةِ. تشيرُ كلمةُ "شهواتٍ" (روم ٦: ١٢) في اللُّغةِ اليونانيَّة (epithumía) إلى "ما وُضِعَ عليهِ القلبُ"، أي إلى رغبةٍ شديدةٍ أصالحةً كانت أم رديئةً. لكنَّها تشيرُ عادةً إلى الشَّهواتِ أو الرَّغباتِ الشرّيرةِ. وضعَ اللّهُ فينا هذه الرَّغباتِ من أجلِ خيرِنا ولتتميمِ مقاصدِه. ولكن قد يُساءُ استخدامُها لإشباعِها بطرقٍ ملتويةٍ. قد يظنُّ البعضُ أنَّ رغباتِهم الجسديَّةِ قويَّة جدًّا بحيثُ لا يستطيعون مقاومتَها. لكنَّ بولس يوضح أنَّ الأمر ليس كذلك. فبالإيمان والطَّاعة تمَّ تحرير الانسان من عبوديَّة الخطيئة. ولذلك فهو يستطيعُ المقاومةَ بالمعونةِ الإلهيَّة (راجع روم ٨: ١٣). فلا يُسمحُ للخطيئةِ "بأن تملكَ بعدُ في جسدِه المائتِ فيُطيعَ شهواتِها" (روم ٦: ١٢).

١٣ وَلا تَجْعَلُوا أَعْضَاءَكُم سِلاحَ ظُلْمٍ لِلخَطِيئَةِ، بَلْ قَرِّبُوا أَنْفُسَكُم للّهِ كَأَحْيَاءٍ قَامُوا مِنْ بَيْنِ الأَمْوَاتِ، واجْعَلُوا أَعْضَاءَكُم سِلاحَ بِرٍّ للّه.

أضاف بولس: "ولا تجعلوا أعضاءكم سلاحَ ظلمٍ للخطيئة". الكلمةُ اليونانيَّة paristáno المترجَمةُ هنا "تجعلوا" تعني "أن يُعطي" أو "يكرَّس". فإن كانت كلمة "أعضاءكم" تشيرُ إلى أعضاءِ الجسدِ: العينين، والأذنين، والفمِ، واليدين، والرِّجلَين، من الممكنِ تكريسُها للشَّرِّ. لكن يجبُ أن لا نسيءَ الظَّنَّ بأنَّنا نخطئُ بأجسادِنا فقط. ولكن أعمالَ الخطيئةِ تتأصَّلُ في قلوبنا (راجع لو ٦: ٤٥). لا يكفي الامتناعُ عن عملِ الشَّرّ بل ينبغي فعلُ الخيرِ أيضًا. لذا، أضافَ بولس قائلًا: "قرّبوا أنفسكم للّٰه كأحياءٍ قاموا من بين الأموات، واجعلوا أعضاءكم سلاح برٍّ للّٰه". فقدان الهويَّة هو معضلة كبيرة يعاني منها الانسان اليوم. فالّذين آمنوا بالرَّبّ يسوع وحملوا اسمه في العماد، ودخلوا معه في حياة الثَّالوث، كيف يمكنهم أن يتصرَّفوا كما لو أنَّهم بلا هويَّة؟ هم أبناء القيامة، أبناء الحياة، أبناء اللّٰه.

عبارة "سلاح برّ للّٰه" مجازيَّة وتشير إلى أنَّنا في حربٍ روحيَّةٍ (راجع أيضًا أف ٦: ١-١٧). نكونُ في هذه الحربِ إمَّا إلى جانبِ الرَّبّ أو إلى جانبِ إبليسَ. كما وقد نستخدمُ أجسادَنا وكلّ قدراتِنا العقليَّةِ كأسلحةٍ مكرَّسةٍ للشرِّ أو للخيرِ.

١٤ فلا تَتَسَلَّطْ عَلَيْكُمُ الخَطِيئَة، لأَنَّكُم لَسْتُم في حُكْمِ الشَّرِيعَةِ بَلْ في حُكْمِ النِّعْمَة.

تشكّلُ هذه الآيةُ صلةَ وصلٍ بين ما سبقَ وما سيأتي في النصّ. كلمة "فلا" هنا لا تعني أنَّه من المستحيلِ للخطيئةِ أن تسيطرَ على حياةِ المسيحيّ. ففي اللغةِ اليونانيَّةِ تُستخدمُ صيغةُ المضارع "تتسلَّط" لإصدارِ أمرٍ ما. بعبارةٍ أخرى، قد تقول لشخصٍ ما: "إنَّك تفعل ذلك"، بينما ما تقصدُه هو "يمكنك أن تفعل هذا، ولكنَّك ستكون في مشكلة كبيرة إذا ما فعلته". لذا، عندما قال بولس: "فلا تتسلَّط عليكم الخطيئة"، كان يؤكّد لقرّائه أنَّه يجب أن لا تسود عليهم الخطيئة لأنَّهم قد مُنحوا النَّصر على الخطيئة. ويناشدهم أيضًا ألَّا يجعلوا الخطيئةَ تسيطرُ على حياتِهم. ثمَّ يشرحُ بولسُ لماذا ينبغي أن لا "تتسلَّط عليهم الخطيئة": "لأنَّهم ليسوا في حكم الشَّريعة بل في حكم النّعمة". كان من الصَّعب، تحت حكم الشَّريعة، ألَّا تسودَ الخطيئةُ، لأنَّه لم تكن هناك طريقةٌ للفرج. قد تصنع الشَّريعة أتباعًا وعبيدًا، ولكنَّها لا تلطّف القلوب الغليظة، ولا ترخي العناد ولا تؤدّي إلى التَّعبيرِ بعرفانِ الجميلِ ولا المحبَّةِ. والشَّيءُ الأهمُّ هو أنَّ الشَّريعةَ لا تبرّرُ الخاطئَ. تفعل النّعمة كلّ ما لا تستطيع الشَّريعة عمله. وبهذا نجد إجابةً على السُّؤالِ: "أنستمرُّ في الخطيئةِ، لكي تكثر النّعمة؟" (روم ٦: ١)؛ النعمة تُثبط عزمَ الخطيئة بدلًا من تشجيعِها. فالطَّريقةُ الَّتي يحيا بها المؤمنُ حياتَه، تبيّنُ ما الَّذي يملِكُه في قلبه.

١٥ فَمَاذَا إِذًا؟ هَلْ نَخْطَأُ لأَنَّنَا لَسْنَا في حُكْمِ الشَّرِيعَة، بَلْ في حُكْمِ النِّعْمَة؟ حَاشَا!

حكم الشَّريعة هو الحكمُ الَّذي فيه يتَّكلُ المؤمنُ على حفظ الشَّريعة حفظًا كاملًا، بينما حكمُ النّعمةِ هو الحكمُ الَّذي فيه يكون الخلاصُ عطيَّةً من اللّٰه. عندما استخدم بولس هذا

المفهوم، توقّع اعتراضًا من نوعٍ ما: "فماذا إذًا؟ هل نخطأ لأنّنا لسنا في حكمِ الشّريعة، بل في حكم النّعمة؟". يبدو أنّ بعض النّاس توصّلوا إلى خلاصةٍ أنّهم إن لم يكونوا تحت حكم الشّريعة، يكونوا أحرارًا من الالتزام بحفظ أيّة شريعة. يعيشون حياتهم كما لو كانوا يقولون: "نحن أحرارٌ لنعمل كلّ ما شئنا، بما في ذلك أن نحيا بطريقةٍ خاطئة". كان جواب بولس على هذا الكلام نفيًا قاطعًا: "حاشا!" (راجع أيضًا الجواب المماثِل في روم ٦: ٢). وقدّم في الفصلَين السّادس والسّابع من الرسالة إلى أهل روما عدّة أسبابٍ لماذا يجبُ على المسيحيّين أن لا يخطأوا. السّببُ المُعطى في القسمِ الأوّلِ من الفصلِ السّادسِ (روم ٦: ١-١٤)، هو أنّنا قد متنا عن الخطيئةِ (روم ٦: ٢) عندما تعمّدنا اتّحادًا بموت المسيح (روم ٦: ٣). عندما متنا عن الخطيئةِ تحرّرنا من عبوديّةِ الخطيئةِ (روم ٦: ٧، ٩، ١٤). استأنفَ بولسُ استخدامَ التّشبيهِ بالعبوديّةِ في القسمِ الثّاني من الفصلِ السّادسِ (روم ٦: ١٥-٢٣) وتوسّع فيه. كانت حجّتُه الأساسيّةُ هي أنّه ينبغي أن لا نخدمَ الخطيئةَ لأنّنا لسنا بعدُ عبيدًا للخطيئة، بل نحن الآن "عبيدٌ للّه" (روم ٦: ١٦)، أصبحنا في "حياةٍ جديدة".

١٦ أَلا تَعْلَمُونَ أَنَّكُم عِنْدَمَا تَجْعَلُونَ أَنْفُسَكُم عَبيدًا لأَحَدٍ فَتُطيعُونَهُ، تَكُونُونَ عَبيدًا للَّذي تُطيعُونَه: إِمَّا عَبيدًا لِلخَطِيئَةِ الَّتي تَؤُولُ إِلى المَوت، وإِمَّا لِلطَّاعَةِ الَّتي تَؤُولُ إِلى البِرّ.

"تجعلون أنفسَكم عبيدًا لأحد فتطيعونه...تكونون عبيدًا للّذي تطيعونه". كان الّذين كتبَ إليهم بولس في القرنِ الأوّلِ يعرفون العبوديّةَ حقّ المعرفةِ. كانت هناك نسبةٌ كبيرة من سكّان روما والإمبراطوريّة الرومانيّة عبيدًا. كان الكثيرون، وربّما معظمُ الّذين كتبَ إليهم بولس، أحرارًا قانونيًّا وسياسيًّا؛ ولكنّه أرادَ لهم أنْ يعرفوا أنّ كلّ إنسانٍ عبدٌ لشيءٍ ما - حتّى وإنْ كان ذلك الشّيءُ من نزواتِه أو رغباتِه - بهذا يكون مُستعبدًا لذلك الشّيءِ. فقد سبقَ بولسُ وصوّرَ خطايا أهلِ روما بكلٍّ بشاعتِها في بدايةِ الرّسالةِ: "امتلأوا بأنواعِ الإثمِ والشّرّ والطّمعِ والفسادِ..." (روم ١: ٢٩). كانوا عبيدًا للخطيئةِ والشّهواتِ، يقيمونَ فيها ولا يُبدون أيّ استعدادٍ للتّحوّل. مع أنّ اللّهَ يقولُ لهم بفمِ نبيّهِ: "عودوا إليّ فأعود إليكم" (زك ١: ٣). اعتادوا سماعَ صوتِ النّاسِ وما يقدّمُه العالمُ من "مبادئ" سعادةٍ، ما هي في النهاية سوى شقاءٍ، ومبادئ حريّةٍ تُقيّد الانسان فتجعله طائعًا للشرّ الذي لا يريده. هذه العبوديّة، تجعلُ أعضاءَه في خدمةِ الخطيئةِ ليتركَ خدمةَ اللّهِ. هذا يعني أنّه صارَ عابدَ وثنٍ، عابدًا لذاتِه ولما يقدّمُه العالمُ له من الإغراءاتِ، وما أكثرها.

١٧ فَشُكْرًا للّهِ لأَنَّكُم بَعْدَمَا كُنْتُم عَبيدَ الخَطيئَة، أَطَعْتُم مِنْ كُلِّ قَلْبِكُم مِثَالَ التَّعْلِيمِ الَّذي سُلِّمْتُمْ إِلَيْه.

ينتقل بولس هنا من المبدأ العامّ الّذي عرضَه في الآيةِ السّابقة، إلى حالةِ مستمعيه الخاصّةِ.

يذكِّرُهم بتعهُّدهِم السّابق: "فشكرًا للّه لأنَّكم بعدَما كنتُم عبيدَ الخطيئةِ، أطعتُم من كلِّ قلبِكُم مثالَ التَّعليمِ الَّذي سُلّمتُم إليه". كانوا في الماضي "عبيدًا للخطيئةِ"، ولكنَّهم فضَّلوا أن يغيّروا وَلاءَهم وأطاعوا الرَّبّ. كلمة "طاعة" هنا تتألَّف باللغة اليونانيَّة من كلمة مركَّبة (hupakoé) وتعني حرفيًّا "يسمعُ" (akoúo) "تحت" (hupó)، أي إنَّها تشير إلى استجابةٍ إيجابيَّة لما قد سُمِعَ (راجع يع ١: ٢٢). فالَّذين يعلمون أنَّ الخلاصَ هبةٌ مجَّانيَّةٌ من اللّهِ يتضايقون ممَّا شرحَه بولسُ عن الطَّاعةِ (روم ٦: ١٦-١٧أ)، وبخاصَّةٍ أنَّ الطَّاعةَ وردَتْ قبلَ التَّحرُّرِ من الخطيئةِ (روم ٦: ١٧ب-١٨). لكنَّ كلامَ بولسَ هنا يتوافق تمامًا معَ هدفِه "طاعةً الإنجيلِ" بين جميع النَّاس (راجع روم ١: ٥؛ ١٦: ٢٦).

١٨ وَبَعْدَ أَنْ حُرِّرْتُم مِنَ الخَطِيئَةِ، صِرْتُم عَبيدًا لِلبِرّ.

العالمُ عبوديّةٌ، واللّهُ حرّيّةٌ. فأيَّ طريقٍ نختارُ؟ ومن نريدُ أن نطيعَ؟ أنسمعُ صوتَ الخطيئةِ من خلالِ تجربةٍ في داخلِنا أو من حولِنا؟ أو نسمعُ صوتَ البرِّ والطَّاعةِ للّهِ والرَّدِّ على محبّتِه لنا بمحبّتِنا له؟ ولكن لا حاجةَ للعودةِ إلى الوراءِ. حينَ آمنّا وقبلنا العمادَ، تحرّرنا. لم نعدْ عبيدًا وخدّامًا للخطيئةِ، بل عبيدًا للبرِّ وما أجملَها عبوديّةً تصلُ بنا إلى العبادةِ، وإلى حبِّ اللّهِ كما العروسُ تحبُّ عريسَها.

لماذا يعودُ بولسُ إلى الكلامِ على عبوديّةِ الخطيئةِ، بعدَ أن تخطَّى المؤمنون هذا الوضعَ؟ لكي يحذّرَهم. كانوا عبيدًا للإثمِ، فصاروا عبيدًا للبرِّ والقداسةِ. لكنْ من الممكنِ أن يرتدّوا عن اللّهِ (راجع عب ٣: ١٢)، وعن الإيمانِ (راجع ١ طيم ٤: ١). والَّذي يعتبرُ نفسَه واقفًا، فليحذرِ السُّقوطَ (راجع ١ قور ١٠: ١٢). أجل، من تحرَّرَ فقد يحِنُّ إلى العبوديَّةِ، على مثالِ الشَّعبِ العبرانيّ، الَّذي ظلَّ يحنُّ إلى بصلِ مصرَ وسَمَكِها (راجع عد ١١: ٥)، حتَّى إنَّه ولو كانَ عبدًا هناك، يودُّ العودةَ!

١٩ وأَقُولُ قَوْلاً بَشَرِيًّا مُرَاعَاةً لِضُعْفِكُم: فَكَمَا جَعَلْتُم أَعْضَاءَكُم عَبيدًا لِلنَّجَاسَةِ وَالإِثْمِ في سَبِيلِ الإِثْم، كَذلِكَ اجْعَلُوا الآنَ أَعْضَاءَكُم عَبيدًا لِلبِرِّ في سَبيلِ القَدَاسَة.

كان بولس يعلم أنَّ العبوديَّة مصدرُ شقاءٍ عظيم، لهذا استخدم مثلًا توضيحيًّا: "أقول قولًا بشريًّا مراعاةً لضعفكم"، يشرح فيه لماذا قارن المسيحيَّة بالعبوديَّة: من يكون عبدًا للّه، يفعل ذلك اختياريًّا وليس عن إكراه، لأنَّ الرَّبَّ ليس سيِّدًا مستبدًّا.

عندما أطاع الَّذين كتب إليهم بولس اللّه "من القلب"، تعهَّدوا بذلك بكامل الولاء للرَّبّ. ويشجّعهم بولس الآن على أن يعيشوا حياتهم وفقًا للتعهُّد الَّذي تعهَّدوا به: "فكما جعلتم أعضاءكم عبيدًا للنجاسة والإثم في سبيل الإثم، كذلك اجعلوا الآن أعضاءكم عبيدًا للبرّ في سبيل القداسة". عندما كانوا في الماضي عبيدًا للخطيئة، كانوا قد كرَّسوا أجسادهم ونفوسهم تكريسًا تامًّا للنجاسة وللإثم، ولم يكتفوا بذلك، بل غاصوا في الخطيئة أكثر

فأكثر. أمّا الآن وقد أصبحوا "عبيد اللّه" فيجب أن يحوّلوا هذا التّكريس الشديد للرَّبّ: "إجعلوا الآن أعضاءكم عبيدًا للبرّ في سبيل القداسة".

٢٠ فَلَمَّا كُنْتُم عَبيدَ الخَطِيئَة، كُنْتُم أَحْرَارًا مِنَ البِرّ.

ما دمنا عبيدًا للخطيئةِ، فلسْنا مُلزَمين بأنْ نخدُمَ البِرَّ، ولا أنْ نعملَ ما هو قويمٌ. والعكسُ صحيحٌ أيضًا: حالما نُصْبِحُ "عبيدًا للّه" (مكرَّسين له كليًّا)، نتحرَّرُ من الخطيئةِ، ولا نعُودُ ملزمين بإطاعةِ أوامرِها. شجّعَ بولسَ المسيحيّين على الاستمرارِ بتكريسِ حياتِهم للرَّبّ. وقد يظنُّ الكثيرون أنَّه لا يبقى هناك أشياء ليقرّروا بشأنها بما يختصُّ بالخطيئة لأنَّهم كانوا قد قرَّروا في وقتٍ ما أن يطيعوا الرَّبَّ، فتحرَّروا من الخطيئة. ولكنَّ الأمر ليس كذلك، لأنَّ كلَّ يومٍ هو يومُ صنع القرار. نقفُ كلَّ يومٍ على مفترقِ الطَّريقِ لنختارَ بين الاستمرارِ في الطَّريقِ الضَّيّقِ "الَّذي يؤدّي إلى الحياةِ" أم نتَّجهُ إلى الطَّريقِ الرَّحبِ "الَّذي يؤدّي إلى الهلاكِ" (متّى ٧: ١٣، ١٤).

٢١ فأَيَّ ثَمَرٍ جَنَيْتُم حِينَئِذٍ مِنْ تِلْكَ الأُمُورِ الَّتي تَسْتَحُونَ مِنْهَا الآن؟ فإِنَّ عَاقِبَتَهَا المَوْت.

ما الَّذي يحثُّنا على صنع القرار الصحيح عندما نقف عند مفترق الطَّريق؟ يعطينا بولس نصيحةً في هذه الآية أن ننظر إلى كلّ طريقٍ لرؤيةِ المكانِ الأخيرِ الَّذي يؤدّي إليه. لذا يطرحُ علينا السُّؤالَ: "فأيَّ ثمرٍ جنَيتم حينئذٍ من تلك الأمور الَّتي تستحون منها الآن؟ كان بعض المسيحيّين ينظرون إلى حياتهم السَّابقة بتلهُّف. مثلُهم مثلُ الإسرائيليّين الَّذين نظروا باعتزازٍ في ماضيهم ناسين العبوديَّةَ في مصرَ. لكن ما هو إيجابيّ عن الَّذين كتب إليهم بولس هو أنَّهم كانوا يخجلون من حياةِ الخطيئةِ السَّابقةِ. لذا، سألهم بولسُ أن يفكّروا بجديَّةٍ في "الثَّمرِ الَّذي جنَوهُ" من حياةِ الخطيئةِ، الَّذي لم يكنْ سوى ضميرٍ مُذنِبٍ، والإخفاقِ في أن نكونَ ما أرادَ اللّهُ لنا أن نكونَ، وعدمِ التنعُّمِ بالبركاتِ الَّتي يريدُ اللّهُ أن يمنحَنا إيَّاها. لذا النَّتيجةُ الأسوأُ الَّتي يسميّها بولس هي "الموتُ". لا تشيرُ كلمةَ "الموت" هنا إلى الموتِ الجسديّ، بل إلى الموتِ الروحيّ، أي الانفصالِ عنِ اللّهِ (راجع أش ٥٩: ١-٢). وبما أنَّها في تباينٍ مع "الحياةِ الأبديَّةِ" (روم ٦: ٢٢)، يتَّضحُ أنَّ بولسَ كانَ يقصدُ بها "موتٌ أبديٌّ"، أي الانفصالُ عن اللّهِ إلى مدى الأبديَّةِ (٢ تس ١: ٨).

٢٢ أَمَّا الآن، وقَدْ صِرْتُم أَحرارًا مِنَ الخَطِيئَةِ وعَبيدًا للّه، فإِنَّكُم تَجْنُونَ ثَمَرًا لِلقَدَاسَة، وعَاقِبَتُهَا الحَيَاةُ الأَبَدِيَّة.

عندما يستمرُّ المسيحيُّ في طريقِ البرِّ، فإنَّه بذلك يحيا حياةَ القداسةِ. وبهذا تكون إحدى النتائج هي "التَّقديسُ". الأكثرُ أهميَّةً هي أنَّ السَّيرَ في ذلك الطَّريقِ يقودُ أخيرًا إلى "الحياةِ الأبديَّةِ".

٢٣ لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيئَةِ هِيَ الْمَوت. أَمَّا مَوْهِبَةُ اللهِ فَهِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا.

هذه الآيةُ هي الخلاصةُ الَّتي توصَّلَ إليها بولسُ. يعتقدُ الكثيرُ من النَّاسِ أنَّ أجرةَ الخطيئةِ تتكوَّنُ من المتعةِ، والشُّهرةِ، والنَّجاحِ. أمَّا بولسُ فيقول: "أجرةُ الخطيئةِ هي الموتُ"، الموتُ الرُّوحيُّ. تُشيرُ الكلمة اليونانيَّة المترجمة هنا إلى "أجرة" (opsónion) إلى دفعِ أجرةِ الخدمةِ العسكريَّةِ، أي ما استحقَّه الجنديُّ نتيجةَ المخاطرِ الجسديَّةِ الَّتي تعرَّضَ لها. إذًا، ما الَّذي يستحقُّه الانسانُ نتيجةً لحياةِ الخطيئةِ؟ إجابةُ بولسَ هي "الموتُ"! بالمقارنة مع ذلك، قال بولس إنَّ "موهبةَ اللهِ هي الحياةُ الأبديَّةُ في المسيحِ يسوعَ ربِّنا". للخطيئةِ أجرةٌ، ولكنَّ اللهَ يمنحُ هبةً. شدَّدَ بولسُ في الفصلِ السَّادسِ من الرِّسالةِ إلى أهل روما على أهميَّةِ الطَّاعةِ الَّتي هي تعبيرٌ عن الإيمانِ. لكن هذا لا يعني أنَّ الانسانَ بالإيمانِ والطَّاعةِ يستحقُّ الخلاصَ أو يحصلُ عليه بجدارةٍ، لأنَّ الخلاصَ يبقى هبةً دائمةً من نعمةِ اللهِ. أمَّا الإيمانُ والطَّاعةُ فيبقيان مجرَّدَ الطَّريقةِ الَّتي اختارَها اللهُ لمسؤوليَّةِ الانسانِ في قبولِ عطيَّتِه المجَّانيَّةِ.

خلاصة روحيّة

إنَّ مفهوم الطَّاعة في أيَّامنا هذه مقرونٌ بالخوفِ، وبخاصَّةٍ في الطَّاعةِ للهِ الَّذي ما زالَ حتَّى اليومِ في نظرِ العديدِ من النَّاسِ الإلهَ الغاضبَ الَّذي ينتقمُ من أولادِه إذا أخطأوا. فما نفعُ العبادةِ، والإماتاتِ والأصوامِ الَّتي يقدّمُها الانسانُ للرَّبِّ ويُغصبُ نفسَه بها، إذا كانَتْ مبنيَّةً على الخوفِ؟ الطَّاعةُ الحقيقيَّةُ هي تلك النَّابعةُ من القَلْبِ الحرِّ العائشِ تحتَ النِّعمةِ، والمبنيَّةِ على المحبَّةِ. لذ، يحذّرُ بولسُ مسيحيّي روما الَّذين آمنوا بالرَّبِّ يسوعَ، وحملوا اسمَه في العمادِ، ودخلوا معه في حياةِ الثَّالوثِ ألَّا يتصرَّفوا كما لو أنَّهم بلا هويَّةٍ. هذا ما يدلُّ على أنَّ بولسَ فَهِمَ أنَّ عليه أن يتعاملَ مع الوضعِ بحسَبِ النِّعمةِ، كما فعلَ يسوعُ مع الأبرصِ، وليسَ بحسَبِ الشَّريعةِ الَّتي تقتُلُ. إن كان البَرَصُ أكبرَ مرضٍ عرفَه معاصرو بولسَ الرَّسولِ، فالخطيئةُ لا تقلُّ عنه شرًّا، ولا سيَّما إذا أخَذَتْ تتسلَّطُ على الانسانِ. وأمامَ هذا المرضِ الخطيرِ الَّذي لا يُبعِدُ المريضَ عن الجماعةِ بسببِ العدوى فقط، بل يطردُه لأنَّه صارَ نجسًا بنظرِ الشَّريعةِ، تبقى صرخةُ الإيمانِ: "إن شئتَ فأنتَ قادرٌ أن تطهّرني" (مر ١: ٤٠). زمنُ الصَّومِ هو زمنُ الشِّفاءِ، مناسبةُ ارتقاءٍ إلى اللهِ، وشفاءٌ من كلِّ ما يستعبدُنا في مسيرتنا إليه.